العلم الثقافي

المدير: عبد الله البقالي

سنة: 55

سنة التأسيس: 1969/2/7

الخميس 6 من ذي الحجة 1445

الموافق 13 من يونيو 2024

10 ، شارع زنقة المرج حسان الرباط

Bach1969med@gmail.com

في الرّأس خروف !

من أعمال الفنان الإسباني ميغيل فالليناس بريتو

الرّأس الذي تقمّص ملامح الخروف، جعل القطيع يختلط بالقطيع، ولم نعُد نعرف الذّابح من المذبوح، وأغشت الأعين شحْمة العيد قبل شيِّها في الأضحى، بل ما عُدنا نعرف من العالِف ومن المعلوف !

الكُل يلغو بلغْوه ويختلق الأراجيف، والضحية هو المُواطن الضعيف الذي تتضاربه الأسواق بأسْعار نفاثة، وهنا نسأل أين الدولة من كل هذه الفوضى، ألم يكن الأجدر أن تنزل إلى أرض الواقع بلجن مراقبة تُسقف اللائحة بأثمنة معقولة، لقد ضاعت الحقيقة ولا أحد يفهم شيئا مما يقع في المجتمع، حتى بعض المنابر الإعلامية خصوصا التيكتوكية أو اليوتوبية الله يتوب، تواطأت مع الإقطاعيين الذين يُقطعون الجيوب على طريقة الكريساج، إنهم المُضلّلون الجُدد، وهيهات أن تنطلي ألاعيبهم على العقول، ولو أمْعَنت في رفع شعار الحقيقة في ثانية وليس فقط في دقيقة !

ما عاد في الرأس إلا خروف، ولا شيء يُغري بالمُتابعة وبعض المنابر الإعلامية تسْتنْسُخ بعضها حتى لا نقول ترضع من مصدر واحد، فما يُنْشر هنا يُنشر هنالك أبعد من هنّاك، ولن تستفيد برياضة النّقْر على الحاسوب سوى زيادة في طول الأصبع، وليس العيب في الصحافي الذي يضْطرُّه الفراغ للاجتهاد ولو بإعادة صياغة الخبر، ولكن المسؤولية يتحمّل وِزْرها من يملك معلومات سياسية واقتصادية وعسكرية تُحرِّك بخطورتها بركة الواقع الراكِدة، وحين تسأله بالنيابة عن الميكروفون، يبدأ ببادىء ذي بدء، ويلفّ حول نفس الجملة كما لو يتدرَّب على طواف الكعبة، وبعد لأْي في لغة دون رأي، ينطقّ المسؤول الكبير بمعلومة لا يفوتني أن أسْتفتي غوغل قبل قلبي

غير المطمئن، لأكتشف أن هذه المعلومة البالية قد غلبتْ منطق النقْل على العقل، ولم تخرج للعموم إلا بعد أن عَبَرَتْ من تحْت جلباب جحا لتكتسب عنصر التّسْلية !

لا يتكتَّمُ على المعلومة التي تخْدم حركيَّة المجتمع قُدُماً، إلا من يخشى تطور الوعي في البلد، إلا من يبتغي أن يتسيَّد بجهل الناس أمداً بعيداً، إلا من يختمر في بطنه عجينٌ ولا يُريد أن يكتشف أحدهم ناراً جديدة تطهو سرَّه قبل الأوان، أوَ لم تعاقب آلهة الأساطير سارق النار، دعوني أولا أُشعل من قبسه المسروق سيجارةً أخيرة قبل أن تُصْدِر الآلهة عفوَها !

ليْس الحديث هنا عن المعلومة التي يَعْمَدُ بعض الأفراد في أجهزة سياسية لتسْريب نصْفها جَسّاً لنبض البلد، وكل أمل من سرَّبُوهَا تضليلاً للناس، أنْ تُقَابَل باللغط كدليلٍ على عدم فهْم ما يجري، أو بالصَّمت الذي يُعتبر في ثقافتنا علامة الرِّضى، إنَّما أقصد المعلومة الأشبه في كشْفها بمُنْعطف تاريخي وليس معطفهُ الذي يريد بعض المتلاعبين بالعقول أن نرتديه مقلوباً، فما أشدَّ دقة هذه المعلومة ومصداقية حُجَّتها المتعلّقة إما بالشخصيات في مواقع النفوذ أو الأجهزة الحكومية، وما أَحَدَّ مَضاءَ المُتمكّن من هذه المعلومة سواءً كان فردا أو موقعاً إعلامياً، وهو يزُجُّ كل البلد في عيادة نفسية على سرير وثير، كي يتحيَّن التوقيت السياسي المُناسب خارج كل الأجندات، ليلقي بحقيقة قد تبدو في شكلها البسيط مجرد فكرة.. وما هي بفكرة بل جمرة تكْتنف الصَّاعقة، وبقدْر ما تُثْلج النُّفوس تندلع في جثثٍ انتفخت بأكل المال العام كما تنتفخ الأكياس بالهشيم، وقد تنقلب المعلومة على من نشر تقاريرها بجرأة لفضح مَواطن الخلل، فلا ينال الشُّهرة والمجْد إلا وهو مُضْطهَد !

يشْعر المرْء بالأسف وهو يَطَّلعُ اليوم عبر الأنترنيت، على بعض المعلومات التي أخْلَفَتْ بحَجْبهَا عن تفكير الناس الموعدَ مع التاريخ، وتَرتبطَ في أحداثها وسيَرها التي كانت قبل نصف قرن أو أكثر، بشخصيات بعض السياسيين والزعماء في العالم الذين لو تجاوزوا بالفكر سقف السلطة، لأدركوا أن الاعتقاد بأحادية الحَقيقة أو المعلومة وأنّها ليست من حق الجميع، إنما يؤدي لظهور أفكار مُضادة أكثر تطرُّفاً، وهاهي ثورة المعلومات اليوم تحرِّر مناطق مضيئة في الذاكرة وكأنها تُحيي ما أُجْهض من ثورات، وقد تجاوزت الربيع.. ربيع كل البلدان لتصنع أكثر من فصل في اليوم، وأصبح كل فرد ينتظر التوصُّل بدعوة من الغد دون أن يكلف رأسه النيِّء التّخلّص من عقلية الأمس، لذلك وفي غياب كل المعلومات التي تجعله يُدرك حقيقة أمره وآمره، فهو لا يعرف أَهُوَ الحاكم أم المحْكوم أو يُعاني فقط من مزاج سيِّء، ولكن يعلم أن رأسه يغلي وقد أنبت قرنين، وينتظر فقط إشارة من السماء للنّطح !

محمد بشكار

حسن المودن

مَنْ قَالَ إنَّ النَّاقدَ قدْ مَات؟

ضدّ بارت، ماكدونالد، مانغينو

كتابٌ جديد للباحث المغربيّ حسن المودن، أطلقه أخيرا المتوسط في إيطاليا بعنوان: "مَنْ قالَ إنّ النّاقدَ قدْ مَات؟ ضدّ بارت، ماكدونالد، مانغينو".

يأتي هذا الكتاب بعكس ما ادعته دراسات سابقة: فهو ضدّ ما أَعْلَنَهُ رونان ماكدونالد، سنة 2007، في كتابه: موت الناقد، وهو ضدّ رولان بارت الذي أعلِن سنة 1968 عن موت المؤلف. ولابد من توضيح: أن تكون ضد موت المؤلف، هذا لا يعني أن تحتفظ بتلك الفكرة التقليدية عن المؤلف، وتمارس النقد البيوغرافي على الطريقة التقليدية، فأن تكون اليوم ضدّ موت المؤلف يعني أن تعيد المؤلف إلى الحياة، ولكن من خلال فكرة جديدة، من خلال نقد بيوغرافي بصورة مختلفة، من خلال نظرة جديدة إلى المؤلف. وبالمثل، أن تكون اليوم ضد رونان ماكدونالد، الذي أصدر سنة 2007 كتابه: موت الناقد، معناه أن تقدّم ما يكفي من الحجج التي تكشف أن الناقد الأدبي لا يموت ولن يموت، لكنه يتجدد ويبتكر لنفسه في كل مرة أسباب الحياة: هناك صور جديدة للناقد الأدبي تتأسس بدلا عن تلك الصور التقليدية. وبالمثل أيضا، أن تكون في الوقت الراهن ضد دومينيك مانغينو، الذي أصدر سنة 2006 كتابه: ضدّ سان بروست أو نهاية الأدب(وكتابه هذا يستحضر كتاب مارسيل بروست: ضدّ سانت بوف، معلنًا أنه ضدّهما معًا: سانت-بوف وبروست)، معناه أنك تفترض أنْ لا نهاية للأدب، وإذا ما انتهى معنى الأدب كما تأسّس على مدى قرون من الزمن مع سانت بوف فمارسيل بروست ثم دومينيك مانغينو، فإن الأدب لا يكف عن تجديد معناه.

وبهذا، فإن الجديد في هذا الكتاب- مقارنة بخطاب النهايات في النقد والأدب- أنه يكشف عن جوانب من هذا المعنى الجديد للأدب، وللنقد، وللناقد الأدبي، و للمؤلف الأديب: أي أنه يريد أن يوضّح أن هناك بدايات جديدة بعد تلك النهايات إنْ سلّمنا بوجودها، وأنه سيكون من الأفضل بلا شك أن نتحدث عن خطاب البدايات، عوض تكريس خطاب النهايات.

مجلة «نظرات» المغربية في عددها الثاني

العمى أفقا للتفكير الفلسفي وعين على صداقات الأدباء

خصص مركز نظرات للدراسات الفلسفية والإنسانية، العدد الثاني من مجلته المحكّمة «نظرات»، لملف يحمل عنوان «العمى أفقا للتفكير الفلسفي وعين على صداقات الأدباء»، وقد اشتمل هذا الملف على دراسات ومقالات جادة لكل من علي بزاز، محمد أيت لعميم، محمد الشيكر ومبارك حسني. وبالإضافة إلى هذا الملف الفلسفي الدسم، تضمن العدد أيضا مقالات عميقة ومتميزة تشتغل بدورها على قضايا لا تقل راهنية، من بينها صداقات الكتاب من خلال «حيوات متقاطعة».

ويعتبر إصدار هذه المجلة الفصلية الأكاديمية المحكمة «نظرات» في عددها الثاني تحديا ثقافيا يستحق الثناء في غياب أي دعم وفي ظروف تتسم بغلاء الورق وتكاليف الطباعة ومشاكل التوزيع، انه تحدي وإصرار من هيئة التحرير تحت إشراف وإدارة المفكر والاقتصادي والاديب د. محمد الشيكر، من أجل إغناء المشهد الفلسفي المغربي والعربي بدورية أكاديمية منتظمة تطرح قضايا وإشكالات فلسفية مهمة وابنة عصرها الراهن.

سعيد بوخليط

تأملات فلسطينية

عن دار جبرا للنشر والتوزيع الأردنية، رأى النور أخيرا كتاب جديدٍ للباحث المغربي سعيد بوخليط، تحت عنوان «تأملات فلسطينية»، تناولت صفحات دفتيه قضايا عدّة، وفق صيغة تأملات مقتضبة، مرتبطة بالقضية الفلسطينية على امتداد تاريخها إلى غاية ما حدث ويحدث في غزة منذ الثامن من أكتوبر.

يكتنف هذا المؤلف بين دفتيه مقاربات، تأرجحت مرجعيا ومنهجيا، حسب سرديات ثلاث، تتناول الأولى سردية تاريخية تتحدث عن تاريخ الحركة الصهيونية، وحركة المقاومة الفلسطينية، وعلاقة إسرائيل مع أمريكا والغرب، وكذا إعادة الحديث، من باب التوثيق التعريفي، عن زعماء الدولة العبرية من التأسيس تحت كنف بن غوريون وصولا إلى نتنياهو، وكذا ما تبقى من آثار الأنوار الأوروبية بخصوص بلورة قراءات موضوعية لصراع الشرق الأوسط.

كما يتناول الكتاب سردية بيوغرافية تسلط الضوء على إعادة استحضار سياقات رموز تاريخية ارتبط اسمها بالمسار الفلسطيني، كل من موقعه، بناء على تأويلات متباينة، وحسب رمزيات مختلفة، كياسر عرفات، أينشتاين، تشومسكي، محمود درويش، ريجيس دوبري، مارسيل خليفة، ناجي العلي، مروان البرغوتي ووائل الدحدوح.

فيما توخت السردية الرؤيوية الثالثة والأخيرة رصدا إيحائيا، قدر استطاعة كيان اللغة وثرائها المجازي، لمكامن وممكنات مشاهد الجريمة البشعة الجلية في حق البشرية جمعاء، أو ما تبقى منها، عبر هذا الفلسطيني طليعتها شعوب المنطقة، وبالتالي منظومة القيم الكونية التي يفترض أنها تحكم مصير الجميع، من خلال مناجاة شكسبير الشهيرة: «تكون أو لا تكون.»

ومعه كل معذّبي الأرض، في مساءلة

وفي هذا الصدد، قال سعيد بوخليط إن «هذه التأملات محض بوح ذاتي وحوار مع الذات، وأنا أتفاعل كتابيا قدر ما تسعفني ألفةِ العبارة، حتى لا تكون مضلِّلة، زائفة، موارية، فاترة، محنّطة حيال ارتدادات جريمة بصيغة الجمع اللامتناهي، المتواليةِ مشاهدها المدوِّية في حقّ الفلسطينيين منذ الثّامن من أكتوبر، أمام أنظار الإنسانية برمّتها، في حضرة العالم «المتمدّن» للأسف، احتفالا همجيا بالموت، ونكاية بأسباب الحياة، مثلما ينبغي لها أن تكون حياة».

وأضاف الكاتب المغربي، بمناسبة إصدار الكتاب، أنه حاول قدر ما بلغه تمرين إنسانيته حتى لا تغدو واقعتها متحللة ومتعفنة، وأنه حاول "رصد بعض القضايا الموصولةِ، سواء بأشواط المعركة الدائرة حاليا، المنفتحة حتما على مختلف الاحتمالات، دون خطية التفاؤل أو التشاؤم المترهلة، وكذا ممكنات إشكاليات أخرى طرحتها دائما وستطرحها باستمرار القضية الفلسطينية، ما دامت العدالة الأممية مشلولة إلى غاية الآن بخصوص إنصاف الفلسطينيين، وإخراجهم من واقع الحِجْر التسلطي الذي يكابدونه منذ نكبة 1948».

وأشار بوخليط إلى أن «اليوميات التأملية ليست حقيقة بالعمل التوثيقي الدقيق، بغية الارتقاء بها صوب مرتبة المرجعيات الأكاديمية التاريخية، فهذا السعي متروك لأهل الاختصاص القادرين على الرَّصد والتوثيق والشرحِ وتدقيق الهوامش والحواشي، ثم صياغة خلاصات الرؤى الملهمة"، مذكرا بأنها "ربما شكّلت حينها عبرة لمن يريد استشراف المآلات ببصيرة وحِنكة متواضعة جدا لقدراتي الفكرية ومرجعياتي المعرفية، قياسا لهذا التطلع».

وتابع قائلا: «لا يمكن فقط الاستسلام إلى ملاذات الصمت أو الحياد، فما جرى ويجري داخل فلسطين أكبر كثيرا من سياقه المكاني، أو الوقوف عند حدود اختزاله إلى مجرد محدِّدات تجزيئية تنتصر عاطفيا أو تعليلا لهذا الجانب فقط دون غيره»، مؤكدا أنها "قضية تشمل الإنسان في مجمله، ثم الوضع البشري على مستوى سموّ تجربته».

وأوضح أن «هذه اليوميات جاءت قصد التقاط جانب مما يحدث، والسعي إلى حفظه بين طيّات الورق، إلذي يعد أنبل وأعزّ صديق حميمي للإنسان على امتداد التاريخ رفقة الكتابة، بهدف تعقب آثار الجريمة، لغويا وذهنيا ونفسيا، بكيفية مغايرة لمنحى اللغة المسطحة أو التقريرية المباشرة، ومهمَّة يتكفل بها طبعا الخطاب الإعلامي"، لافتا إلى أن "الخطاب الإعلامي بلغ اليوم مبلغا جبّارا من التوغل والتغوُّل والتسيُّد، بل كيان الصورة اللحظي قدر سرمديته الذي يغني تماما عن كل وصف لغوي مهما اجتهدت أبعاد حذقه».

وختم المتحدث ذاته قائلا: «حاولت الإصغاء إلى ضميري ونداء إنسانيتي، وفق منتهى جدوى وجودي ما دام الحديث عن قضايا من هذا القبيل، مثلما الشأن مع القضية الفلسطينية، يعتبر أولا وقبل كل شيء اختبارا لمعنى أن أكون إنسانا جديرا بهذه الهوية».

يقع الكتاب يقع في 190 صفحة من الحجم المتوسط.

شهادة

محمد الشايب

فاطمة الزهراء المرابط أو عاشقة الحروف

منذ الخطوات الأولى في بساتين العمر، منذ فجر اليَفاع، منذ فاتحة السؤال، منذ بشائر الربيع الأول، وهي تمتطي صهوات الحروف، تغدو مشرقة، وتروح غانمة، تسافر في مناطق الشغف، وترتوي من ينابيع العزيمة، وتقطف من فواكه الإصرار، فتصعد جبال الجِدّ، ثم تستريح تحت ظلال النجاح الوارف..

فاطمة الزهراء المرابط صفحاتٌ منقوشةٌ بمداد العطاء، وحقولٌ تردد أناشيد النجاحات والإنجازات، وأسرابٌ تشدو حرةً طليقة في سماء الانتصارات..

تُجري الحوارات، تحضن الخطوات، تُؤطر الورشات، تملأ الصفحات، تُشيِّد اللقاءات، ترعى الإصدارات، تفتح المجالات، تهيِّئ الفضاءات، ترسم المسارات، ترسل الإشارات، تصقل الزهريات، تُشعل البسمات، تراكم الإنجازات، وتجني النجاحات..

خطتْ أولى خطوات الإبداع وهي تلميذة في مدارس أصيلة، فولجتْ مجالات فنية وإبداعية متعددة، ثم أرسلتْ رسائل، وشيدتْ مواقعَ، ورسمتْ حضورا يفوح جمالا وموهبة ونشاطا.. وسكنها الهَمُّ الجمعويُّ وهي في بداية دهشات الحياة، وهي على صهوات الأحلام الشاسعة، وعلى ضفاف الأسئلة العصية والطيِّعة، فأخلصت، وثابرت، وأبدعت، ثم حلقتْ عاليا في سماء التألق..

تتابعت الحلقات، وتوالت الفصول، وتعاقبت الرِّحلاتَ، وفاضت السطور، وَاخضرت الصفحاتَ، وتراكمت التجاربَ، وأينع الحضور، وَكبُر.. وهطل العطاءُ، وازداد، وتواصل.. فطفحتْ عناقيدُ النجاح، وغرَّدتْ أسرابُ الفلاح، ونقشتْ آياتُ البَذْل..

وتستمرُّ الأسفار، وتطول الطريق، وتصعُب المسالك، وتكثر الحواجز، ويكبُر الشغف، وتتسع الأحلام، وتتقوى العزائم.. وتظل فاطمة الزهراء المرابط واقفةً في وجه العواصف، تتحدى العراقيل، وتُبدع من الجفاف ماء، وتخلق من اليأس أملا، وترسم من الأخذ عطاء، ومن البخل سخاء، ومن التلوث صفاء، ومن القبح بهاء..

فاطمة الزهراء المرابط عاشقة الحروف، بها تُقيم، وإليها تهاجر، وهي بالنسبة إليها بدءٌ ومنتهى، وحلٌ وترحال، وشغلٌ واستراحة، ويسرٌ وعسر، وشمسٌ وظل، وغايةٌ ووسيلة، وهواء وماء، وغذاء ودواء..

فاطمة الزهراء المرابط صفحاتٌ من العطاءات والنجاحات، فهي رئيسة الراصد الوطني للنشر والقراءة، الذي لا تتوقف عجلاتُ حضوره البهي عن قطع المسافات، وتحقيق الإنجازات، على مستوى صقل المواهب، وتأطير الورشات، وتنظيم المسابقات واللقاءات، وعلى مستوى النشر حيث استطاع هذا الإطارُ الثقافيُّ النشيطُ والعتيدُ أن يصدرَ ما يناهزُ المائةَ عنوان..

وفاطمة الزهراء المرابط هي رئيسة تحرير مجلة «الصقيلة في النقد والإبداع»، التي تتواصل أعدادُها غنيةً، وأنيقةً، ومنتظمةً لتتجاوز العددَ العشرين..

وفاطمة الزهراء المرابط هي المناضلة الثقافية البارزة، والكاتبة المتعددة، التي تواظب على إجراء ونشر الحوارات، وتقديم وتنسيق المؤلفات، واحتضان ورعاية والاحتفاء بالإصدارات..

وهي القاصة الخلاقة، التي أصدرت» ماذا تحكي أيها البحر.. ؟ « سنة 2014، و» أتراك تشرقين غدا.. ؟ « سنة 2019، وأصدرت قبلَ شهور قليلة المجموعةَ القصصية التي نحتفي بها اليوم، والتي وسمتْها ب « لا شيء يعجبني» تعبيرا عما يُخيِّم على الواقع من حزن، وما يعتريه من تيْهٍ واختلال وتمزق..

«لا شيء يعجبني» صفحاتٌ تصدح بالنفي، وحقولٌ من الألغاز، ومساحاتٌ مفعمة بالسؤال والقلق، وفصولٌ من الأحداث، ونوافذ مفتوحة على ضفاف السُّخرية اللاذعة، وسيرٌ متعددٌ شكلا ومضمونا في تضاريس الإبداع..

تعدد الضمائر في نصوص المجموعة بشكل متناغم ومنسجم، فتطفو أصواتٌ متعددةٌ على سطح السرد، وتقود القارئ نحو أرخبيلات تلبس شتى الألوان، وتصدح بالقلق المختلف، وتفتح نوافذَ واسعةً وعريضةً في وجه عواصف من الأحاسيس، وبورتريهات منَ النماذج الإنسانية، وضفاف من التجارب، وصفحات من حالات التوتر، وتضاريسَ وعرة من الأسفارِ في مناطق الواقعي والمتخيل.. إنها لوحاتٌ مرسومةٌ بألوان العمق والجمال، موقَّعةٌ بمدادِ التعدد والانسجام، حبلى بالصور..

تختلف الفضاءات، وتكثر الشخوص، وتتناسل الأحداث، ويفيض الألم، وتتراكم الإحباطات، وتتزاحم التناقضات، ويجري الحب، ويعشعش اليأس، ويتعرى المستور، وينطق الصمت، وتتجلى الأمراض، ويمتلئ الفارغ، ويفرَغ الملآنُ، وتحلو الحروف، ويطيب المقام، ويطول السهر..

«لا شيء يعجبني» صرخة ميلاد جديدة لحضور مشرق رغم السحب الكثيفة، ولمسارٍ واثق يشقّ طريقَ التألق رغم الحواجز والعلامات المانعة للمرور، وهلال فرح يبزغ نكاية في الصعوبات والعراقيل..

صديقتي فاطمة الزهراء، أعرف أنَّ الطريقَ وعرةٌ، وأنَّ المسيرَ شاقٌ، وأنَّ الزادَ قليلٌ، وأنَّ الصفاءَ نادرٌ، لكني أعرف أكثر أنك أقوى من الرياح الجافة، ومن التضاريس الصعبة، ومن الفصول العجاف..

هنيئاً لك النجاح والفلاح، ومزيداً من الإصرار على السير الحثيث في طريق التألق، ورسم لوحاته، ما سبق منَها، وما لحق، وما ظهر منها وما بطن..

هنيئاً لك ومزيدا مَن التحليق في سماء البهاء..

قدمت هذه الشهادة خلال حفل توقيع المجموعة القصصية « لا شيء يعجبني» للقاصة فاطمة الزهراء المرابط الذي نظمه أحد المقاهي الثقافية بالقنيطرة بتاريخ 26 أبريل 2024.

البهلوانُ الذي سقط من السَماء
وقصص أخرى

أنيس الرّافعي

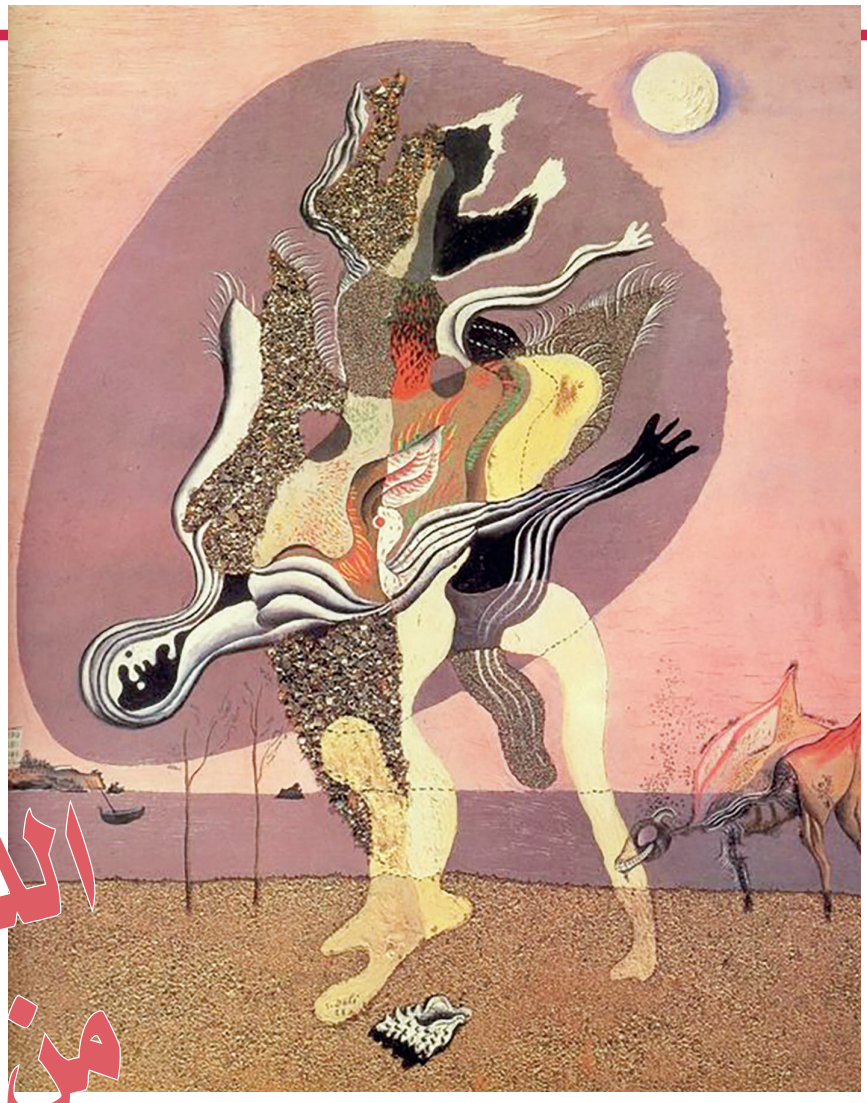

من أعمال السوريالي الإسباني سلفادور دالي

سقطَ البهلوانُ العملاق ، حسب الكثير من شُهودِ العَيَان ، ليلاً ، من السَّماء مباشرةً ، مثل نيزك جانح أو مركبة فضائيّة شبحيّة؛ ثمّ استقرَّ وسط الخَلاء المقفر، على مسافة كيلومترات يسيرة من مدخل أحد المداشر المغربيّة الجنوبيّة الصغيرة ، التي تكبّدت خلال الأيام القليلة الماضيّة فاجعة زلزال مدمّر غادر، هَدَمَ بُيوتها الطينيّة المتواضعة ، و خَلّف المئات من الضحايا فيَ صُفوف سكانها المعوزين .

هبّت السُّلطات المحليّة، و كذا بعض الرُعاة والفضوليّين ، منذ ساعات الصباح الأولى، من أجل تقصّي الواقعة الصادمة، فتبيّنَ لَهُم أنَّ الأمر يتعلّق بمخلوق غامض يستلقي على ظهره بذراعين مبسوطين إلى جانبه، ذي هيئة جبّارة بحجم عمارة سكنيّة مؤلّفة من عشرين طابقاً ، يَتَزيَّا ببذلة بهلوانٍ مُبهرجة الألوان، وينتعِلُ حذاءً من النوع المفلطَح الخارق، ويرسمُ على قناعه المزوَّدِ بأنفٍ مطاطيٍّ، والمُلطّخ بمستحضرات التجميل ، ابتسامةً مُمْعِنَةً في السُخريّة .

الابتسامةُ المحنَّطةُ نفسها ، هي ما حيّر زُمرة عريضة من الخُبراء والمتخصّصين في الميادين الطبيّة والتشريحيّة والأمنيّة و الفلكيّة و الباراسيكولوجيّة ، ثمّ جعلتهم يتأرجحُون كرَقّاص السَّاعة في تحديد حالة البهلوان العملاق المُسجّى وسط العراء الممتدّ ، إن كان متوفى فعلا ، أو فاقدًا الوعيَ مؤقتا ، أم هو في حالةِ غيبوبة طويلة الآمَادِ؟

وبسرعة البرق ، انتشر خبرُ البهلوان هائل القامة المنحدر من علياء السماوات ، لتتوافدَ إلَى عينَ المكان، كالزنابير المهتاجة ، القنوات التلفزيّة والرقميّة ، من أجل الحصول على السبق الصّحفيّ ، و تغطيّة كافّة تفاصيل و حيثيات ومُلابسات هذا الحدث المدهش غير المسبوق ، الذي خلبَ ألباب الملايين حول العالم ، وخفّف نسبيّا من وطأة فجيعة الهَزّة الأرضيّة الغاشمة .

كما تقَاطرَ ، من كلّ حدب وصوب، أهلُ المنطقة ، ثمّ نصبُوا أشرطةَ الخيام حَوَالَيْ حُدود و أبْعَاد جسم البهلوان المارد ، الذي جذب فيما بعد ، مثل مغناطيس وَثيق القُدرة ، ما لايَعدُ ولا يُحصى من السُيَّاح الأجانب ، وأصحاب عربات الطعام الجائلة ، ومالكي السيّارات المقطورة الخاصّة بالتأجير ، و مشاهير الرياّضة والفنّ والطبخ ، و مُؤثري الشبكة العنكبوتيّة، ورجالات الدولة والسيّاسة والأحزاب و النقابات ، و فقهاء الجماعات الدينيّة ، ومرتزقة الخَوارق و العَجائب ، وبهَالين الأسركة الصغيرة ...

الجميعُ ، بدون استثناء ، حتّى و إنْ لاَحُوا في تلك الأثناء أشبهَ بالأقزام أو النُسخ الوضيعة ؛ التقطوا صُوراً وسِلفياتَ مع جسد البهلوان الأسطوريُ الفارع مثل « آرَغُوسْ» الإغريقيّ ، أو تسلّقُوا هيكله المترامي لاشهارِ علامات النّصر المنتشيّة ، كما لو كانوا عناصرَ من وحدات للدفاع الجويّ قامت مدفعيتهم الثقيلة لتوّها بإسقَاط طائرة ضخمة معاديّة .

أصبح موضع خَسْفَة البهلوان العملاق المنكوب محجًّا للمُفْتَتنينَ بنزعة مُشاهدة الجماليّات المكشوفة و الاستعراضيّة للموت، يُدرُّ أموالاً طائلة على المتنفعين بهذا المهرجان الفَرجويّ القائم في الهواء الطلق ، على مَرْأَى من دوريّات قُوّات الدَّرَك ، التي ألفتْ أن تصلها الإكراميات السخيّة المَخَصَّصَة ، وعلى مسمع من الهيئات الإداريّة و البلديّة ، التي استمرأتْ الأرباح التي تفجّرت مثل ينابيع فيّاضة في رُبوع الإقليم .

بل أدهى من هذا ، صار البهلوان العملاق ضريحاً ذا بركة و مواهب فوق طبيعيّة، يَؤُمُّهُ المرضى، والعاقرات، والعاهرات، والعَانسات، والمعاقون، وحاملو العاهات والأمراض الجلديّة المعديّة، و المسوسون بلوثات الخبل و الجنّ ...

عُمدَ ، بغلْظَة ، إلى تَسكين سَوْرَة الحناجرِ العاقلة ، التي دعت إلى التخلص سريعا مِن البهلوان العملاق ، خشيّة أن تَنْتُنَ جثّته إذا ما تفسّخت ، وذلك بمقترح تَجْزئة أوصاله بواسطة آليات قويّة لتقطيع الرخَام ذات مناشير باترة مركبة على الرافعات والسقالات ، ثمّ شحن هذه الشّرائح المفصومة على متن سيارات نقل اللّحوم، صوب مخازن التبريد العموميّة .

كما فُرضت رسومٌ ماليّة مرتفعة على الراغبين في المجيء لمشاهدة عرض البهلوان العملاق الغافي ، مثل وحش خرافيّ من العالم الآخر ، على وقع موسيقى الدي جي ، وأضواء الديسكو الملوّنة ، وأنغام الفلكلور المغربيّ الشعبيّ .

نسيَ الناس نهائيّا أمر البلاء الساطع للزلزال ، ليتواصل لشهور طويلة هذا السيرك الجهنميّ المقام على أرض قوَامُها ربعُ السَّراب ، دون خيمة أو حلبة أداءٍ أو أقفاصٍ أو سُوَاس ، في جو عارمٍ منَ الهَرْجِ وَ العشوائيُة و الارتجال والفوضى.

الفوضى عينُها، التي استقطبت، تباعا ، طوائفٍ جمّة من رسّامي الغرافيتي، واللّصوص، والمجرمين و المشعوذين، والدجّالين ، والأفاقين ، والمكدين ، والخرّاصين ، الذين لم يتقاعسوا عن نهب مزَق من ملابس البهلوان ، وبيعها كتذكارات أو تعويذات مقدّسة بأثمنة مفرطة لفلولٍ مَن الأغبياء و المغفلات .

كما كانت لهم، أيضا، اليد الطُولى في تفشي شائعة سخيفة، مفادها أن البهلوان يواصل، يوما إثر آخر، نموّهُ وتمدّدهُ الى ما لانهاية، وفقا لمتوالية هندسيّة شاذة، وبأنّ حجمه، في حالة عدم تغطية جسده بالكامل، سيتضاعف عشرات المرات خلال مدّة وجيزة ، على شاكلة التمثيل الضوئيّ لدى النباتات، لمّا تعمدُ إلى تحويل الطاقة الضوئيّة من الشمس إلى الطاقة الكيميائيّة للغذاء .

حتّى جاءَ يوم مشهود، فتح فيه البهلوان العملاق عينيه الزجاجيتين الدامعتين، وسالت رغوة بيضاء ، كرغوة البيرة، على جانبي فمه، ثمّ تنفّس تنفّسا وئيداً من رئتيه ومنخريه ، كما لو كان على وشك أن يستيقظ من رقدته العميقة .

حينها، اختلجت الطيور واللّقالق، التي أنشأتْ أعشاشها على أعضائه، مُنذرةً بقرب صحوة المهرّج النمرود ، و نهاية هذا المهرجان البائس، غير أنّ أصْحَابَ الوَقْتِ ، وأهل الحل والعَقدِ كان لهم رأيٌ آخر.

ففي ليلة ذاكَ اليوم بالذات ، تمَّ ، بعملية مُحكمة ، إخلاءُ المَرْقَد بالكامل من جميع زُوَّاره ومُخيّماته ، لتَخْتَرقَ ، في سريّة تامَّة ، آلاف الحراب والخُطَافات الحاميّة بالنّار كلّ شبر من جسد البهلوان العملاق ، ثمّ خيطت ، قبيلَ الفجر ، جُروحه المميتة بحبالِ رَتْقِ السُّفن .

لقد اطمأنُّوا، أخيراً، بأنَّهُ لن يُفيقَ على الإطلاق من غيبوبته الأزليّة، وتيّقنُوا إلى الأبد من ديمومةِ وَهْمِهِ العظيم !

دفاترُ سَوداءُ

جمال أمّاش

1 - اختراعُ العُزلة

لا أكتبُ هذه الأيّام
لأنَّ لا شيءَ مُهمٌّ يحدثُ أمامي
أمشي في مَسلك غير مرئيٍّ
وأنسى أنني أنظُرُ فقَطْ
مِنْ نافذةٍ مفتوحةٍ عن آخرِها

حينَ صَعدْتُ الدَّرجَ
لأولِ مَرَّة
كُنتُ أنتظِرُ
أنْ أنزلَ منهُ
حيثُ القطارُ الذي جئتُ فيه مازالَ يعوي
في داخلي كذئبٍ أهْوَجَ
وحيثُ رائحتُكَ مازالتْ تسكنُ جِلدي
كمُتشردٍ جائعٍ

كنتُ أشرَبُ يومياً
لكيْ أفهمَ سبباً لغيابك
ولكيْ أوقفَ عقربَ السَّاعة في مَسامي
ويحصلَ صديقي نادلُ حانَة الكلبِ
على الدَّواءِ لابنه الذي يُعانَي
مِنْ فقْرِ الدَّم
ومِنْ موسيقى حزينةٍ في العِظام

لا شيءَ يُذيبُ
مَعدنَ الحُلْمِ
سوى حديثُ امرأةٍ تَخترعُ العُزلَة

بَينما بَقيَ مكاني فارغاً
وأنا أذوبُ كشمعةٍ في حائطٍ
كأسي فارغةٌ
والحُلمُ بقيَ في زاويةٍ
يأكلُهُ النملُ دونَ أنْ يَرى شيئاً

البحرُ الذي يَسحرُني في الغُروبِ
نسيَتني أمْواجُهُ
تَركتُهُ
وبقيتُ أُعوِّدُ أمْعائي
أنْ تبقى بدونِ أسماكْ
وأنْ أبقى وحيداً كسفينةٍ
تنتظرُ هبوبَ العواصفِ

أشياءُ كثيرةٌ تضيقُ بها
دفاتري السَّوداءُ
رِحْلاتي على حَوَّافِ اللُّغة
الحاناتُ التي كانتْ تَجمعُني كُلَّ مَساءٍ
مِنْ طُرُقٍ كُنتُ أخيطُها دونَ جَدوى
حَولَ طاوِلاتٍ مُتذبذبة
فَشلَ طبيبٌ نفسانيٌّ في علاجِ أعْصابِها

انهيارَ الطَّبيبُ الذي كانَ مَعنا بالضَّغط
تَفرَّقْنا بدونِ كلماتٍ
دُونَ وَداعٍ

وَحْدَها الكلابُ كانتْ تَراني وتُغيِّرُ
الطَّريقَ
أمّا قططُ الدَّربِ فكانتْ تقودني إلى بيتنا
دونَ أنْ تُكسِّرَ دِماغي.

2 - إذا كنتَ تريدُ العُبور

إذا كنتَ تريد العُبورَ
إلى بيتِ العائلة
عليكَ أنْ تُخفيَ شيئاً ما خَلْفَ أذُنِكَ
صَوتَ الطائرةِ التي حطَّتْ خطأً قُرْبَ قُبّةِ العَدالة
في استعراضٍ عَسكريٍّ
صوتَ النَّاسِ يَهمسونَ إلى بَعضِهم بَعضاً
على رَصيفِ الفَراغِ
في نظراتِهم رسائلَ مَلغومةٌ
وعلى عيونِهمْ غبارُ المسافاتِ

كُنتَ تمرُّ مُزدحماً كَشارعِ وقتَ الذِّروَة
أوْ كَحُمَّى قلبٍ تنهشُه أنيابُ الخذلانِ
تُخفي صَوتَ المُشيِّعين –في مَأتَمِ ابنِهِ المَسْموم–
أوْ في إبرِ خيّاطِ العاهاتِ
وفي زاويةِ ما قاضٍ فاشلٌ
يفصلُ في قضايا العابرينَ
وبِجانبِه
حَواريو الوَقتِ يُنصتونَ للقانونِ الضَّائعِ
في الرَّدهاتِ

الطريقُ كمينٌ
والنَّبضُ الذي يَطرقُ في قلبٍ آخَرَ
شهادةٌ؛
إذا كنتَ تُريدُ العُبورَ
عليكَ أنْ تَسألَ:
مَنْ يَدلُّني عنْ شريانٍ ضلَّتْ حُروفُه
في رَملِ فلاةٍ
أوفي مَجازِ الشُّعراءِ؟

أنتَ حينَ تَفيضُ بوَجْدٍ سِرِّيٍّ
شوقاً
أوْ صَلاةً
تَختفي وتَظهَرُ
كَقاربِ سَكرانٍ
في بَحْرٍ
لا تَهدأُ أمواجُهُ أبداً!

الشارعُ تَغيَّرَ
الأنوارُ نَفسُها تذكُرُ عُزلةَ
الآلهة
وأنْتَ وَحدكَ تُكْمِلُ
الطَّريقَ

شارداً كَعمودٍ كَهربائيٍّ
تَنظرُ بعُيونٍ مَفتوحةٍ جِدًّا للعابرينَ
لأرْصفةٍ زهيدةٍ في دَخْلِها
ومِنْ شَهْدِ الحياةِ
تَسقي كلَّ صَباحٍ أشْجارَ
اللَّوْزِ

إذا كُنْتَ تُحاولُ العُبورَ
عَليكَ لا مَحالةَ
أنْ تُغلقَ النَّوافذَ كُلَّها
تصعدُ قممَ الثَّلجِ
وتُصْغيَ لِنبْضٍ قَديمٍ.

3 - أكياسٌ منهوبةٌ

في المَساءِ تبدو المدينةُ حَزينةً ،وبِها صَمتٌ مُكهرِبٌ ،
مُهرِّبون في فَنادقَ غَيْرَ مُصنفةٍ
ومُروجٌ مَكسُوَّةٌ بِضبابٍ مَوبوءٍ

الأسئلةُ تَتمنَّعُ في أقْمِصةٍ صَفراءَ ،وبينَ شَريطينِ
نَهرٌ تَنقصُه المعرفةُ
زَوارقُ مَطاطيةٌ لا تُؤدِّي إلى مَخارجَ آمنةٍ

هُناكَ مُعسكراتٌ صامتةٌ ،ودافئةٌ جِدًّا
سُحُبٌ تبتسمُ للبَحرِ
وأسْماكٌ بعيدةٌ

وعلى ظَهرِ الصَّمتِ الذي يتلوَّى كثُعبانٍ
مُعتقلون في زَيِّ البَحرِ
قَتلةٌ يَترصَّدونَ بَحّارةَ ذهبٍ أبيضَ
وقصائدَ في أكْياسٍ مَنْهوبةٍ

آه ،الصَّباحُ غامضٌ أمامي
والقواربُ
التي تَظهرُ وتَختفي في ميناءٍ بَعيدٍ
تميلُ مع كلِّ ريحٍ
وبِجانبي أسماكٌ ما زالتْ تَتدرَّبُ على الغَوْرِ
تَكسوها نَغماتٌ لزِجةٌ؟

آه ،المدينةُ حَزينةٌ
مُقفلةٌ تماماً على أسْرارِها
وفي الجِهةِ الأخرى
امرأةٌ كَسَرتِ الوَزْنَ
وسَقطتْ في المَحْظورِ؟

من أعمال الفنان الفوتوغرافي السويدي تومي إنجبيرج

عَقْدٌ على (مناظرة) عبد اللّه العروي ونور الدين عيوش.. ماذا بعد؟

الجزء الأول

عبد الله العروي

د. محمد سمكان

أما قبل

تشرئبّ الأعناقُ إلى نهاية الموسم الدراسيّ والجامعيّ بالمغرب، فنستحضر اليوم مرور ما يَجاوزُ العَقْدَ (عشر سنوات) على المناظرة التي جمعت بين الأستاذين عبد الله العروي ونور الدين عيوش. وقد سيَّجنا كلمة (مناظرة)، في العنوان، بقوسين غليظين تحفظا على معناها الاصطلاحي؛ لأنّ من أدبيات المناظرة، بحسب الأستاذ طه عبد الرحمن، اشتراك المتناظِرَيْن في وحدة العرْض، والمرجع، والقصد، والتناظر (التّشابه) في المكانة العلميّة. فهل توفرت هذه «الأدبيّات» في هذا اللّقاء الإعلاميّ؟

وأمّا هذه «الورقة البحثيّة» فهي ثمرة ورشة تطبيقيّة بماستر لسانيات عربية تطبيقية مادة «لهجيات» (Diactologie) التي أشرفتُ على تدريسها (الموسم الجامعي 2021-2022) بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بعين الشق/ جامعة الحسن الثاني.

وقد عملنا في هذه الورقة على «تكميم» (Quantification) مداخلات المتناظرَيْن في شكل محاورَ متتبّعين الخيط الناظم بين كل مداخلة وأخرى، كما جمعنا المداخلات المتفرقة ذات الوحدة الموضوعيّة في محور واحد، لننتقل، بعد ذلك، إلى عرض موقف المناظر، ثم ندرسه من خلال آليات التّعليق، أو المقارنة، أو النقد البناء الذي يناقش الفكرة ويقيّمها في ضوء علم اللسانيات (خاصة اللسانيات الاجتماعية واللّهجيات)، مع التّشديد على أنّ هذه الورقة لا تخدش في المكانة العلمية والاجتماعية للمتناظرَيْن، كما ننبّه إلى أنّ هذا المقال لا ينظر إلا في الجوانب الأكاديمية والعلمية التي تطارحَها الأُسْتاذان.

السياق

أُنيط بي إناطةُ تكليف وتشريف تدريسُ مادة «لهجيات» (Diactologie) بالماستر المذكور، وعندما كنّا بصدد محاضرة بعنوان: «الازدواجية اللغوية» (Diglossie) اشتغلنا بهذه (المناظرة) التي كانت نتيجة مباشرة لانتقاد الأستاذ عبد الله العروي لمشروع الأستاذ نور الدين عيوش الذي يدعو إلى استعمال «العربية المغربية» (الدارجة أو العامّيّة) في الأسلاك التعليمية بالمغرب، وهو الانتقاد الذي نشرته جريدة الأحداث المغربية في 20 و21 و22 من نونبر 2013، كما جاءت هذه (المناظرة) متابَعةً للنّدوة الدولية التي عقدها الأستاذ عيوش وفريقُه البيداغوجي أيام 4 و5 أكتوبر 2013 بالدار البيضاء تحت شعار «طريق النجاح» من أجل تشخيص ما دعاها «أعطاب» المنظومة التربوية ببلادنا. وقد تمخّض عن هذه النّدوة أربعٌ وأربعون (44) توصية أثار الجدل منها ثلاثُ توصيات، هي:

«السعي إلى «معيرة» (Standardisation-Codification) العربية المغربية (الدارجة) مع الحرص على مدّ جسور التواصل مع العربية الفصحى (العربية الكلاسّيّة).» «في أفق الوصول إلى نقط الالتقاء بين العربية المكتوبة والعربية الشفهية.»

«لا يتعلق الأمر بتثبيت (أو ترسيم) الدارجة لغة خالصة، ولكنْ النزوعُ نحو عربية فصحى مبسّطة ومنفتحة على الدّارجة خدمة لمصلحة المتعلم.»

«اعتماد لغات الأم، انطلاقا من التعليم الأوّلي وصولا إلى سنوات التعليم الابتدائي، بوصفها لغات التّعليم والتعلم لتحصيل المكتسبات المعرفية الأساسية.»

وقد جمع برنامج: «مباشرة معكم»، على القناة الثانية، والذي ينشّطه: الصحفي جامع كلحسن بين المتناظرين، تحت عنوان: (مناظرة حول استعمال الدارجة المغربية في التعليم)، وذلك بتاريخ الأربعاء 27 نونبر 2013.

المتناظران

الأستاذ عبد الله العروي: الصفة العلمية: مبرَّز في اللغة والحضارة العربيتين.

الأستاذ نور الدين عيوش: الصفة العلمية: فاعل جمعوي ورئيس وكالة «شمس» للإشهار.

موقف الأستاذ عبد الله العرويّ

محاور المناظرة:

1.1.1- أهمية وخطورة الموضوع: صرَّح الأستاذ عبد الله العروي أنّه شُغل بموضوع «الازدواجية اللغوية» منذ أكثر من خمسين سنة؛ أي منذ 1960 حين طلَب منه أستاذه ريجيس بلاشير تهييء محاضرة حول قضية «العامّيّة في العالم العربي» وذلك بجامعة السّوربون. فكانت النتيجة التي توصّل إليها عبد الله العروي، هي أنّ العقبة الكأداء التي تقف أمام اعتماد اللغة العامية أو المحكية (بتعبير أهل مصر) وترسيمها لغة وطنية هي قضية (الحرف)؛ بأيّ حرف يجب أن تكتب هذه العامية؟ إذا كُتبت بالحرف العربي فلا فائدة من اعتمادها، وإذا كُتَبت بالحرف اللاتيني نكون قد ابتعدنا عن الموروث الحضاري العربي.

وبحسب بلاشير فإن الإدارة الفرنسية كانت قد جمعت مجموعة من الخبراء منهم بلاشير نفسه، وإميل لاووست (عالم لسانيّ متخصص في دراسة اللغة والثقافة الأمازيغية ولد بفرنسا 1876 وتوفي بالرباط 1952) وغيرهما... وذلك حوالي 1934 أو 1935 حول مائدة الحوار للبحث في اعتماد اللغة العامّيّة لغة وطنيّة، فكان الرّدّ، بالإجماع، أنه لا يمكن إحلال الدارجة المغربية محل اللغة العربية لعدة أسباب ذكرها عبد الله العروي، وقد صنّفناها إلى:

سبب سياسي: لأنّه إذا اعتُمدت الدّارجة تكون فرنسا قد خالفت عَقد الحماية (إصلاح ما هَو سياسيّ، وإداريّ، واقتصادي...) وبالتّالي، وبحسب هذا العقد، لا يمكن للمستعمر التدخل فيما هو هُوّياتي، ودِيني، ولُغوي، وما له علاقة بالتقاليد المجتمعية المغربية...

ب-سبب جغرافيّ: إذا اتّخذ هذا القرار فلا يمكن تطبيقه في بعض المدن حيث تطغى «اللّهجة المدينية» المتأثرة بالرافد الهويّاتي الأندلسي، كمدن تطوان أو طنجة، وستتسع الفروق بين اللّهجات في «المنطقة السلطانية» و«المنطقة الدولية» بطنجة.

ت- سبب تقنيّ: يتمثل في قضيّة الحرف (الرّسم، الكتابة، الكاليغرافيا، شكل الحرف) فهل نعتمد الحرف العربيّ أو الأجنبيّ؟

وبالعودة إلى النّدوة التي عقدها الأستاذ نور الدين عيوش صرّح الأستاذ عبد الله العروي أنْ ليس له اعتراض على قيام أيّ شخص (لديه غيرة ولديه أفكار ما) بعقد مثل هذه الندوة والخروج منها بتوصيات، وقال: «بل ذلك يُحسب له»، وهو إطراء منه لجهود الأستاذ نور الدين عيوش خاصة في المناطق النائية بالمغرب، كما أنّه متفق مع الأهداف المعبَّر عنها بشكل مباشر أو غير مباشر، غير أنه، بالمقابل، يتساءل: هل يمكن اعتبار هذه المبادرة نافلة أو زائدة؟ أيْ: أليس هذا الطرح الذي يتبنّاه الأستاذ نور الدين عيوش هو المعمول به حاليا؛ إذ يُستقبَل الأطفال ذوي الأعمار من 3 إلى 6 سنوات في روضة الأطفال بلغتهم الأمّ؟

وبعد عرض «روبورتاج» صوّرته القناة الثانية حول اللغة المتداولة في الصّف الدراسي بالمستوى الابتدائي بالبيضاء، والذي ظهر فيه جليا اعتماد المعلّمين على العربية الفصحى، سجّل الأستاذ العروي موقفا مناوئا لهذه الطريقة البيداغوجية، وقال: «إذا كانت المربّية تخاطب الطفل بلغة سيبويه فهذا لا يُقبَل» ونقول للأستاذ العروي، الذي نرى أنه بالغ في هذا التعليق، أين نحن اليوم من لغة سيبويه؟

ونبّه بالمقابل إلى أنّه، للبحث في تنزيل رؤية الأستاذ نور الدين عيوش وفريقه البيداغوجي، لابدّ من توافر اثني عشر تخصّصا: الفونولوجيا، اللّهجيّات، الفولكلور، الإثنولوجيا، اللسانيات، اللسانيات الاجتماعية، علم الاجتماع، التاريخ، الاقتصاد، الديدكتيك، التخطيط المدرسي، لغة الصّمّ؛ لأنّ في

العملية التعليمية- التعلّمية عند الصمّ تنتفي لغة الأمّ ما داموا لا يسمعون؛ بل إنّ الطفل عندما يلتحق بالمدرسة، فليس من أجل تعلّم اللّغة أو تَكلّم اللّغة، ولكن من أجل تَعَلّم الكتابة.

والكتابة عبارة عن رمز يُلاحَظ بالعين، ثم تأتي مرحلة القراءة [تشفير الرمز وتفكيك السَّنَن] ثم قضية المصوّتات (Les voyelles) وهذا عطب اللغة العربية؛ لأننا لا نكتب إلا الصوامت (Les consonnes)، ثم ننتقل إلى تعلم التّلفظ [النطق]، فنعود بعد ذلك إلى الشفهي وهو غير الشفهيّ الأول (المرتبط بلغة الأمّ)، وهنا تكمن أهمية لغة الصّمّ؛ إذ يتمّ تعلم لغة الإشارة.

كما أنّ، هناك، فرقا بين «لغة الأمّ» و«لغة المدرسة»؛ فالأخيرة مكتوبة، ثمَّ متلفَّظة فيما بعد وليس بالضرورة أن يكون المتلفظ متطابقا مع الشفهيّ المكتسَب من لغة الأم (اللغة الأولى)، وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه خبراء اليونسكو الذين اعتمدوا على دراسات في إفريقيا (تنزانيا مثلا) حيث معدّلات التعليم أرفع بكثير من المغرب؛ لأن تلك الدول تعتمد في الابتدائي على الشفهي فقط، ولكن المفارقة، هناك، أنهم يعتمدون الشفهي في مرحلة الابتدائي (لغة الأم)، ولكن الكتابة، بعد الابتدائي، لا تتم إلا بالإنجليزية في الدول الأنجلوسكسونية، أو بالفرنسية في الدول الفرنكوفونية، وليس لها علاقة بلغة الأمّ؛ فتقع قطيعة إبستيمية بين الأوّلي (المشافهة بلغة الأمّ) والابتدائي وما بعده (الكتابة بلغة ثانية). إذا، فما يُتعلّم مشافهة هو أمور متعلقة بـــ(اليد): حرَف يدويّة مختلفة.

ويرى الأستاذ عبد الله العروي أنّ هدف دُعاة استعمال العربية المغربية (الدارجة) في الصّف المدرسيّ، بتركيزهم على الشفهيّة وعلى لغة الأمّ، سيصنعون «طبقة مقصودة» من الناس تستطيع القراءة حتى لا تُصَنَّف في خانة الأمّيّة، فتتحوّل من صفة l'alphabet إلى صفة illettré بحيث تكون معرفتهم محدودة ليتمّ «تأهيلهم» مهْنيّا (Main d'œuvre qualifiée) ليشتغلوا في المَعامل [حيث لا يتداولون إلا المُعجم التقنيّ الخاص بمصطلحات المصانع والمعامل: مشافهة وكتابة، وهو خلقُ نوع من «ربوتات» بشرية محدودة التعليم والثقافة]، وبتعبير آخر: خلق يد عاملة بسيطة ورخيصة على غرار ما حدث في أندونيسيا وباكستان.

والأستاذ عبد الله العروي ليس لديه أيّ اعتراض على استعمال الدّارجة في سنوات الأوّلي بين 3 و6 سنوات، ويدعو الساهرين على سياسات التخطيط بالمنظومة التعليمية ببلادنا إلى الاهتمام بالأوّلي قبل وصول الطفل إلى سنّ التّمدرس القانوني (السلك الابتدائي)؛ فالدول المتقدمة: كالدانمارك، مثلا، حيث التعليمُ، هناك، على غرار باقي الدول الاسكندنافية، أحسن من فرنسا، وسبب هذا التفوّق علَى «التعليم الفرنكفوني»، بحسب الأستاذ العروي، هو توجيه اهتمام هذه الدول نحو التعليم الأوّليّ.

ونسجّل، أيضا من خلال هذه (المناظرة)، عدم اعتراض الأستاذ العروي على مخاطبة متعلّمي السنة الأولى والثانية والثالثة ابتدائي بلغة الأمّ (الدارجة) شرط توجيه المدرِّس نحو توظيف هذه اللّغة وتربيته على التدرّج في التّعامل معها، ولذلك انتقد الأستاذ العروي المدرِّسة (في الشريط الاستطلاعيّ) التي تدرّس «المفعول المطلق»، واعتبر أن ذلك فارغا من كل معنى وخاليا من كل فائدة؛ فالطّفل، بحسبه، وحتى إلى عشر (10) سنوات، لا يجب أن نحدّثه عن المفعول المطلق مثلا.

ونحن نقول: إن المعلّمة تدرّس «المفعول المطلق»؛ لأنّه درس مبرمج في المقرّر الدراسي الذي يجب أن يحترم موادَّه كل مدرّس في جميع الأسلاك التعليمية، كما نُنبّه إلى أننا إذا زُرنا الكتاتيب القرآنية سنجد أطفالا لم يبلغوا السنة العاشرة يحفظون القرآن ويحفظون بعد ذلك، على الأقلّ، بعض المنظومات النحوية وفي مقدّمتها «منظومة الأجرومية» وهي منظومة تضم مباحث نحوية كثيرة في المرفوعات والمنصوبات والمجرورات وعلامات الأسماء والأفعال وغيرها من المباحث النحوية والصرفية؛ بل يشرعون في منظومات في السيرة والفقه والحديث، ولا يجد هؤلاء المتعلمون عنتا في استيعابها حفظا وفهما وتطبيقا...

العروي وعيوش

ووضّح الأستاذ عبد الله العروي أنّ التعليم في هذه السنوات الأولى بلغة الأمّ قد يكون سيفا ذا حدّين؛ فمن جهة سنقلّص من نسبة الأمّيّة من 50% إلى 15% أو 10% مثل البلدان الإفريقية، [وهذه نحسبها نقطة إيجابية تصبُّ في صالح طرح الأستاذ نور الدين عيوش]؛ ومن ناحية ثانية فـــإنّ المستوى التعليميّ سيتدهور، وباعتماد لغة الأمّ وحدها دون غيرها سيبقى المتعلّم في إطار مفاهيم محدودة؛ لأن لغة الأم محدودة المفاهيم، ولا تتسع اتساع «اللغة العربية المعيار».

ثم تطرق الأستاذ إلى قضيّة «اختلاف الدّارجات المغربية» التي تجعل من بلدنا بيئة لغوية ولهجيّة غنيّة، وهذا «عامل عكسيّ» يتعارض مع طرح الأستاذ نور الدين عيوش، ولذلك افترض الأستاذ عبد الله العروي أنّه، مثلا، إذا أردنا أن نوظف مُعلما، ونوجّهَه إلى عدم مخاطبة المتعلمين بالفصحى، فبأيّ دارجة سيخاطبهم: أبدَارجَة المعلّم أم بدارجة الأمّ التي يعرفها المتعلم؟

وهنا اقترح الأستاذ مسألة «اللّهجية الجهوية»؛ أيْ: أنّ كلّ جهة يجب أن تعيّن الأساتذة داخل النفوذ الترابي الذي ينتمي إليه كلّ من المعلّم والمتعلّم، وفي حال العكس فالمعلم لن يفهم لغة المتعلم، ولا المتعلم سيفهم لغة المعلم، خاصة والمعلم يتعامل مع أطفال؛ لأن الطفل ليست له الوسيلة للانفصال عن لغة الأمّ والتحرر منها؛ بل قد يسْخَر المتعلم من المعلم؛ لأنّ المتعلم الطفل يعتبر أن لغتَه الأمّ هي «اللّغة المعيار» التي يجب أن تقاس عليها باقي اللغات، وستكون لهجة المعلّم بالنسبة له رطانة كرطانة الأعاجم.

ونشير من جهتنا إلى أنّ طرح الجهوية هو المعمول به الآن في إطار «التوظيف بالتعاقد»، لكن على الرغم من ذلك فداخل الجهة الواحدة يمكن أن نرصد مجموعة من اللّهجات والأصناف اللّغوية (Variétés linguistiques).

وللردّ على من يعتبر الفصحى (المكتوبة أو اللّغة العالمة أو لغة الثقافة والإدارة) والدارجة (لغة المشافهة اليوميّة) لغتين منفصلتين فإنّ الأستاذ العروي، ولتذليل الفروق بين اللهجة الشفهيّة واللغة المكتوبة، والتّدليل على أنهما من فصيلة واحدة، يستشهد بكتاب لويس برونو (louis Brunot) (1882-1965) المعنون بـــ: (Pour enseigner l'arabe: lettre à un débutant): حيث يقول: Deux aspects d'une même langue

ce n'est pas deux langues différentes absolument et surtout deux langues de même génie : arabe parlé et arabe écrit procèdent de même génie nous enseigneront donc l'arabe parlé et l'arabe écrit.

Le premier problème qui s'oppose alors et de savoir si on les enseignera simultanément ou successivement et quelle part on réserve à chacun deux dans l'horaire mais dès la quatrième en certains d'établissement dès le dernier trimestre de la cinquième l'arabe écrit réclame la place prépondérante. (Qui a plus de poids, qui (l'emporte en autorité, en influence

ثم ما فتئ الأستاذ عبد الله العروي يؤكّد على أنّ الفرق بينه وبين الأستاذ نور الدين عيوش هو أنّ الأخير يريد أن ينتقل من الطور الشفهيّ إلى طور الكتابة، وأما هو فيرى أن العكس هو الصحيح (الانتقال من الكتابي إلى الشفهي)؛ فالشفهيّ له مجاله، وهو أنّه: لغة البيت، لغة العاطفة، لغة الأمّ، لغة التفاهم... وأما لغة المدرسة فهي لغة تبدأ بالكتابة. ولكن لتبليغ المعنى «يتسامح» الأستاذ العروي في استعمال الدّارجة كوسيلة للإفهام وليس بغاية تدريسها.

وفي ضوء هذا «التسامح» نسجّل أن موقف الأستاذ عبد الله العروي قد تغيّر من موقف جذريّ رافض لطروحات الأستاذ عيوش (ينظر ردود الأستاذ العروي التي سجّلها على صفحات جريدة الأحداث المغربية) إلى مواقف متغيّرة تتسم بالمرونة والتساهل سجّلها هذا اللقاء الإعلامي على القناة الثانية؛ إذ تحول من «التصلّب» إلى موقف متقارب، وأحيانا توفيقي، وأحيانا منسجم مع رؤية الأستاذ نور الدين عيوش لدرجة أدهشتِ الأخيرَ؛ لأنه لم يكن، على الأرجح، يتوقعها.

2.1.1- رؤية الأستاذ نور الدّين عيوش وتقويض الهُويّة المغربية: إنّ ممّا عاب الأستاذ عبد الله العروي على مشروع الأستاذ نور الدين عيوش في حواره الآنف مع «الأحداث المغربية» أنّ هذه الدعوة قد تقوّض الهُوّيّة المغربية، وهنا تظهر الإشكالية الأساس وهي كيفية تحصيل لهجات عاميّة متطورة وغير قارة؟

فالعمل المهم الذي ينبغي المسارعة إليه، في هذا الصدد بحسب عبد الله العروي، هو العناية بروض الأطفال من خلال توجيه المربّيات إلى أن يتحدّثن لغة عربية فصحى أبسط من «اللغة العربيّة التاريخيّة القديمة» دون أن تنحدر هذه اللغة العربية المبسّطة إلى تلك الدارجة اليومية. وبالمواظبة فإننا سنخلق باستمرار لغة متطوّرة شاملة وجامعة، مع الحرص على أن تكون هذه «الفصحى المبسّطة» غيرَ «لغة الأم»؛ لأنّ الأمّ ممكن أن تكون جاهلة بالقراءة والكتابة؛ وبالتالي يجب توجيه المربّيات في الرّوض إلى أن يتحدّثن لغة أرقى من لغة الأمّ (لغة البيت والمجتمع)، وأقل تعقيدا من «الفصحى التاريخية» حتى تُصبح لدى الطفل ملكة لغوية متطورة عن «لغة الأمّ»، ويصبح هو من يعلم أمَّه، ثم ننتقل بالتدريج من «دُور الأطفال» نحو الفصول الأولى من الابتدائي حيث تُستعمل دارجة مفهومة، ولكن أرقى من اللغة التي حصّلها في الرّوض.

فإذا سرنا في هذا الاتجاه، بحسب الأستاذ عبد الله العروي، فَنحن نقوّي الوحدة الوطنية، ولكن إذا نظرنا إلى الدّارجة كما هي، وسَعَيْنا إلى تأهيلها، وباشرنا عمليّة كالتي قام بها العرب في القرن الثاني الهجريّ، وهي ما يُسمى بعملية التدوين، (لا علاقة للأمر بالقرآن فهذا شيء آخر) بهدف جعل الثقافة العربية الشفهية مكتوبة.

والآن يُطلب مَنّا أن نفعل الشيء نفسه؛ فإذا فعلنا ذلك، ونهج دعاة الأمازيغية النهجَ نفسه، وسلك دعاة الحسّانيّة المسلكَ نفسه، وتظهر مستقبلا دعوات أخرى، ألن يكون هذا تقويضا للوحدة الوطنية؟

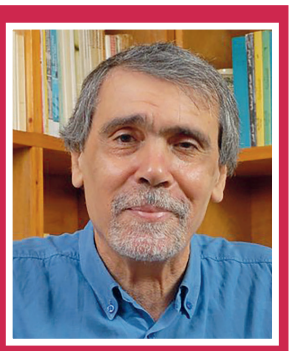

بقلم: عبد الفتاح كيليطو

الأدب ما بين قوسين (*)

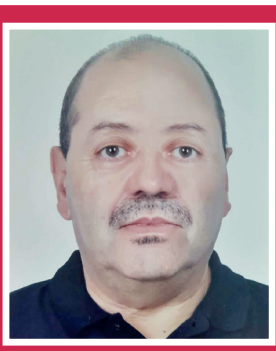

ترجمة: إسماعيل أزيات

للأطفال في بعض الأحيان، في الروايات كما في الحياة الواقعية، أفكار غريبة. في رواية «البارون المعلّق» لإيطالو كالڤينو، المنشورة عام 1957، يصعد البطل، وكان بعدُ صغيرا، إلى شجرة ويصمّم على عدم النّزول منها. راهن بذلك أن يظلّ طوال حياته بين الأوراق، أن لا يلامس الأرض أبدا، على شاكلة الطيور. بل أفضل منها، إذ يحدث لهذه أن تطأ الأرض. بعد سنتين، نشر غونتر غراس رواية «الطبل الصفيحي»، وفيها يتسبّب طفل، بصورة متعمّدة، في حادث ويتعرّض لإعاقة خطيرة بقصد أن لا يكبر وأن يظلّ طوال حياته قزما.

الأول كما الآخر ليسا ببعيدين عن التّذكير بعلاء الدين الذي كان يمضي سحابة يومه في اللّعب مع أولاد مزعجين في الأزقة الضيّقة. والده الخيّاط مصطفى كان يرغب أن يستقر عنده في دكّانه ويتعلّم الحرفة، غير أنّه، هو، لم يكن يفكّر إلاّ في التّسلية. مستاء، أدرك مصطفى من ذلك غمّ إلى حدّ أن عجّل بموته. إنّها، في حدود معرفتي، الحالة الوحيدة في الأدب التي يموت فيها الأب لأنّ ولده لا يريد أن يكفّ عن اللّعب. دون أن يتبلبل أو يحسّ بالذّنب، واصل علاء الدين اللّعب حتى ينقذ طفولته. سيعيش مغامرات، لكن على طريقته، منخرطا في اللّعب وإلى غاية انتهاء الحكاية. في لعبه مع الموت، تظاهر فقط ، إذا جاز القول، بأنّه مات. ألم يترك، كما نقرأ، «ذرية مشهورة» أغلب الظنّ من العابثين من فصيلته، مولعين باللّعب، مدمنين عليه؟

تبتغي «خصومة الصور» في جوهرها أن تكون حكاية طفل يحبّ أن يكذب على نفسه. في الظّاهر يهوى أن ينخرط في أدوار متنوّعة جاعلا من حياته تسلية متواصلة، سلسلة من الانحرافات (سنصادفه، أعتقد، في «حصان نيتشه»). أمنيته الغالية عليه أن يوقف الزمن، أن لا يتغيّر شيء من حوله، وباستعلاء واستخفاف، يعتبر الراشدين، وهم لا يلعبون، ضائعين ولهم عادات عقيمة بقدر ما هي عصيّة على الفهم.

مع ذلك، وجب عليه يوما أن يغادر طفولته، «جنتّه الخضراء» كي يواجه جحيم المراهقة. في تقدير الجميع، ليس هناك أشقى من المراهق. لكن من هو المراهق والحالة هذه؟ حتى لا نضيع في التفاصيل القانونية ـ النفسانية، لنبق في نطاق الدلالة الاشتقاقية للكلمة، كما تبرز في «لسان العرب» لابن منظور. المراهق، كما يوضّح، «من يأتي متأخّرا»، أن يأتي إلى المسجد، مثلا، وتكون الصّلاة قد أقيمت.المسجد ممتلئ عن آخره، الصفوف مستقيمة وهو يقدم بغتة مروّعا ومنقطع النّفس، عيناه طائشتان، متعجّلا بمشقّة أن يندسّ بين المصلّين. للمراهق، بصفة إجمالية، إحساس أنّه في الحياة متطفّل، عليه أن يعلن المعذرة أن ولد متأخّرا، ومن ثمّ، فهوغير مبتغى.

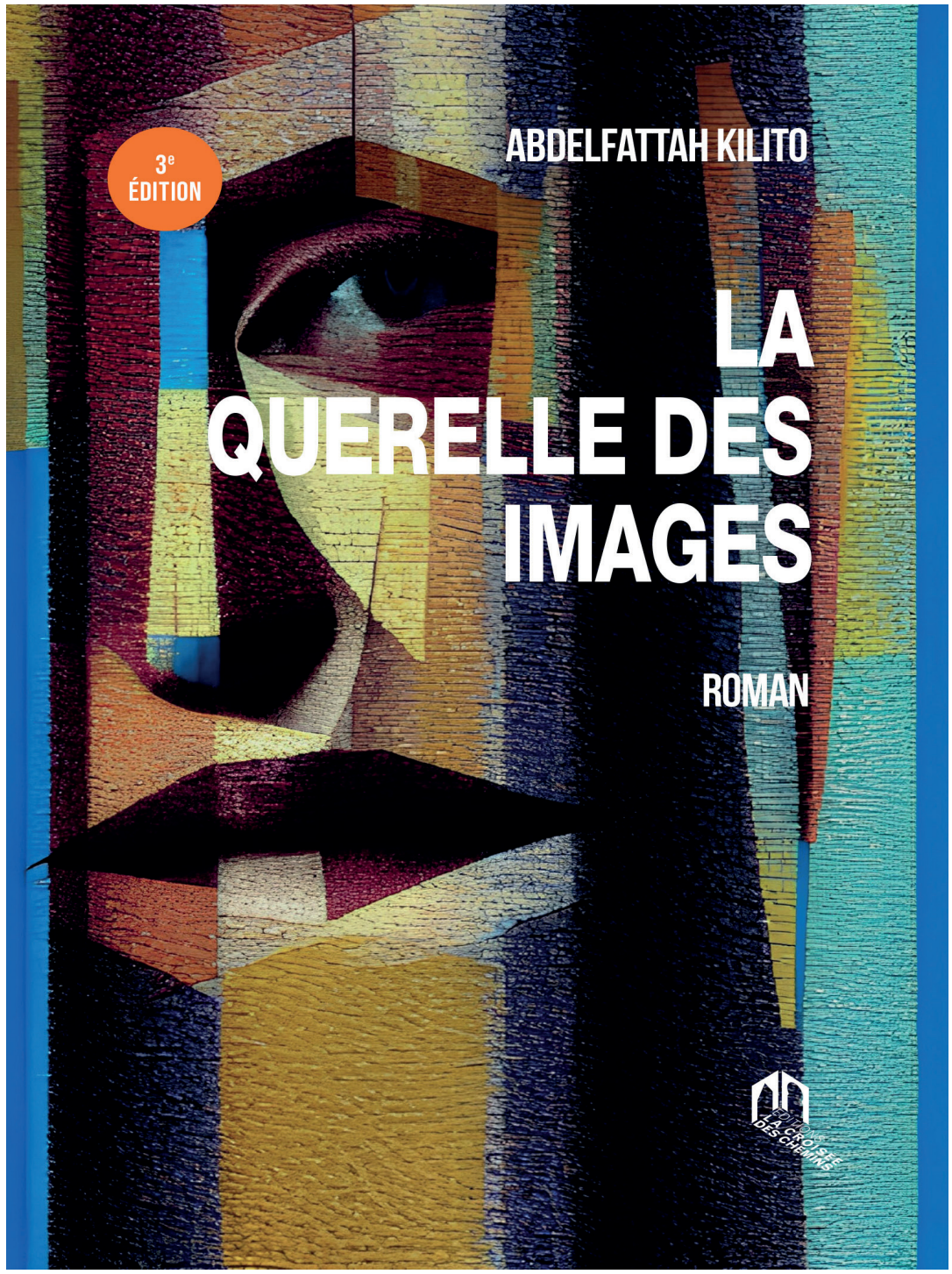

لحسن الحظّ، ثمّة سارد متعاطف يسهر عليه. في الحقيقة، ليس في إمكان هذا الأخير، وبأيّة صورة، أن يتدخّل في قدر الآخر لأنّه، بالمعنى الصحيح للكلمة، ليس شخصية حكائية، إنّه يعيش ضمن بعد آخر. دوره أن يقدّم تعليقات على أحلام، على آمال، على خيبات. وعند الاقتضاء، ومثل جبّيتّو Geppetto[1] أن يدّعي الجهل والبراءة. إذا لم يكن يبخل بكلمة أخّاذة، فهو، في أغلب الأحيان، يبذل جهده ليبقى غير جاذب للانتباه وغير ملحوظ. دون أن ينجح في ذلك تماما. في كلّ مرّة يوجد في النص استطراد بين قوسين، يمكن ان نكون واثقين من العثور عليه هناك. أن يحيا بين قوسين هي طريقته المخصوصة أن يعيش الأدب.

غشت 2023

*مقدّمة الطبعة الثالثة من رواية «خصومة الصور» (2024)

Geppetto1 شخصية من شريط مطوّل من نوع الرسوم المتحرّكة **Pinocchio** (**1940**) مقتبس من رواية **Les Aventures de Pinocchio** لمؤلّفها **Carlo Collodi** (88). (المترجم).